في سعيها الى تحريك وتنشيط الحوارات الفكرية والثقافية والتربوية اقامت مؤسسة (المدى) طاولة مستديرة بشأن ملف التربية والتعليم منذ سقوط الصنم في ٢٠٠٣/٤/٩ وعلاقة هذا الملف الحيوي بمجمل التحولات الجارية في البلد.
وقد حضر الندوة التي ادارها رئيس قسم التحقيقات في المؤسسة الزميل حسين محمد عجيل. السيدات والسادة: زكية خليفة رئيسة منظمة نهضة المرأة، وندى عمران الصحفية المعروفة ومنسقة مشروع أصوات العراق، فلاح رشيد جودي مدير إدارة تربية الرصافة الثانية، ود. فارس كمال نظمي استاذ الشخصية بجامعة بغداد والعضو المؤسس للجمعية النفسية العراقية، وإبراهيم الجوراني المشرف التربوي.

بعد سنتين على التحول الذي شهدته البلاد

قضايا التربية والتعليم على طاولة (المدى)

اعداد: قسم التحقيقات
تصوير: سمير هادي

وقد بُدئت الندوة بالترحيب بالضيوف الكرام ووعدهم بفتح ملفات اخرى عن مختلف جوانب العملية الفكرية والثقافية في اجواء الحوار الديمقراطي للوصول الى افضل صيغ العمل.

حسين محمد عجيل: سنتناول اليوم بالنقاش واقع التربية والتعليم في البلد بعد التحولات العميقة التي جرت خلال السنتين الماضيتين، وما طرأ على هذا القطاع المهم من تحديات جديدة، بما رافقها من مظاهر إيجابية أو سلبية وتأثيراتها المباشرة في العملية التعليمية والتربوية (المناهج، تداعيات الوضع الأمني في مناطق التوتر، تدخلات الأحزاب والحركات الدينية في الشأن التعليمي، الاجتثاث، قضايا المفصولين السياسيين، التدريس باللغات القومية، التعامل مع التقنية الحديثة، تأهيل الملاك التدريسي....)

من المؤكد أننا لن نفي هذه المحاور حقها من التناول في الحيز الزمني المحدد، لكننا وبرغبة الإحاطة بمجمل المثار من هذه القضايا المتداخلة نعتقد أن من الضروري وضعها كإطار عام لمناقشتنا الحرة التي حرصنا على أن نتلمس من خلال اختصاصات المدعوين إليها أبعادها المهنية والاجتماعية والنفسية والتشريعية والإدارية والرقابية.

نكرر شكرنا لكم ونبدأ من حيث توشك السنة الدراسية الحالية على الانتهاء بعد عام ربما كان استمرار الأزمات العام السابق الضخمة في الفلوجة والرمادي والموصل وبغداد والنجف وإن كان أخف وطأة منه في بعض هذه المناطق التي التهبت فيها الأحداث لمدد متفاوتة. ولكن مع ذلك أعتقد أننا حين نتحدث عن العملية التربوية والتعليمية بكل أطرافها، خصوصا ركنها الأساسي أعني التلاميذ والطلبة، على خلفية هذه الأحداث الساخنة سنكون بإزاء مشكلة ذات أبعاد نفسية بامتياز.

غياب النموذج الانساني

دعونا نبدأ من هذه البؤرة ونفسح المجال للدكتور فارس كمال نظمي ليطلعنا على نتائج العنف المسلح المستمر بكل أشكاله في البلد، بغض النظر عن توصيفاته الخارجية، على المفصل الأساسي في العملية التربوية، التلميذ أو الفيلسوف الصغير على حد تعبيره، ليضعنا في صورة الواقع النفسي لهذا الفيلسوف المتألم بعد عامين من العنف المفرط وأعوام كثيرة سبقتهما خزنت الذاكرة من سعير الدكتاتورية وسعارها ما خزنت. الكلمة لك دكتور فارس:

-د. فارس كمال نظمي: شكراً على هذه الدعوة، وعلى التحليل المميز. الطفل فيلسوف صغير قالها عالم من علماء النفس فالطفل وان كان (مادة خام) فهو يمتلك كل العمليات العقلية التي تشكل رؤيته العالم، يقال ان الطفل لايفهم، وهذا مفهوم خاطئ لان لديه كل العناصر التي تجعل منه انساناً كاملاً في مرحلته، ثلاثون عاماً اشيع فيها كل مفردات التسلح والعسكرة باتت تشكل جزءاً من الذاكرة الجمعية للطفولة العراقية مضافاً اليها مجموعة الحروب التي مر بها المجتمع العراقي ثم مظاهر الارهاب بتنوعها، السلاح في كل مكان كأنه شيء طبيعي، ولكن هذا يعد خرقاً لابسط حقوق الطفل، وتعتبر انتهاكاً لهذه الحقوق بكل المقاسات إن مجموعة هذه الظواهر مائلة، لقد تحسن الوضع الاقتصادي للمدرس لكن وضعه النفسي لم يتغير بسبب افرازات المرحلة السابقة.

إعادة تأهيل

-حسين محمد عجيل:- الاستاذة زكية خليفة، أنت شهدت المعلم في عصره الذهبي وراقبت مؤشرات الانحدار إلى العصر الحديدي - بعبارة مهذبة- خلال العقدين الأخيرين من عمر النظام المتفسخ. كيف تنظرين إلى دور جديد للمعلم في عملية التحول الديمقراطي من موقعك ناشطة في منظمات المجتمع المدني؟ وما تقييمك لدوره الحالي؟

-زكية خليفة:- لدي تعقيب على وضعية الطلاب وعسكرة المجتمع. والان برامج تلفزيونية تعرض استراتيجيات لمواجهة هذا الواقع، فهو يتبنى مثلا استراتيجية (التوحد بالمعتدي) فالقوة القاهرة امامه حين لايستطيع محاربتها، يتوحد معها باشكال عديدة مثل العاب الكومبيوتر، والعائلة العراقية لاتملك الوعي الكامل لمعالجة هذه الظاهرة عند الطفل، ثانيا (البحث عن نموذج) واذكر ان اخر نماذجنا الانسانية كانت في السبعينيات وبعدها ظهرت الجوانب العسكرية وعسكرة المجتمع فظهر امام الطفل (النموذج الرامبوي) الذي يمتلك قدرات خارقة وتخدمه الاقدار، وهناك نماذج اخرى بديلة، العنف غالباً مايولد الاحباط ذلك ان الطفل لايستطيع ان يرد الاذى عنه وتؤدي هذه الحالة الى الموت المفاجئ والمرض النفسي او المرض المشترك النفسي والجسماني وتظهر تأثيراتها في مفردات اللغة، هذه الاستراتيجيات تحتاج الى معالجة حقيقية.

فلاح رشيد جودي: اود التعقيب على هذا الموضوع، فأنا ارى ان الطفل سريع التأثر ولو قمنا بواجبنا التربوي لاستعطنا ان نؤثر فيه، مثلا لدينا روضة الاقحوان، اقامت معرضاً لنتاجات الاطفال، وانا ادعو الى زيارته. كانت رسومات الاطفال بعيدة عن البندقية والخوذة والدبابة، في هذا المعرض كان المشهد مختلفاً، رسوم متعددة الاشكال الحياة السلمية والطبيعية اذاً هناك تغيير ساهم فيه اداء المربيات في الروضة واداء العائلة نفسها، علينا ان لانستسلم للمظاهر السلبية.

ترميم النفوس اولاً

حسين محمد عجيل: ما دمنا قد أخذنا أحد الأركان الرئيسة في العملية التعليمية والتربوية فلا بأس أن نتدرج إلى الركن الركين في هذه العملية أعني به المعلم، لنستطلع رأي المشرف التربوي الأستاذ إبراهيم الجوراني عن ماهية هذا المعلم وما تبقى منه بعدما تعرض له من موجات الترهيب والتبعيث والإقصاء والتجويع والتجهيل...ألا ترى أن المعلم العراقي بحاجة إلى إعادة تأهيل على أكثر من مستوى، خصوصا على مستوى التعامل مع التقنيات الحديثة؟

أبراهيم الجوراني: شكراً لـ (المدى) على هذه المبادرة. المعلم قمع ودمر وأهيل عليه التراب، لكي لا يقول شيئاً، لقد وقع عليه حيف كبير، التبعيث، العسكرة، التأطير واجباره على مفاهيم لايؤمن بها وأنا شخصياً أنادي بترميم النفوس قبل ترميم البنايات، وهذا الترميم يشمل، الطالب، المعلم، المشرف، المعلم هو جزء من المثلث التربوي (المنهج، المعلم، التلميذ) وسيبقى هذا المثلث معطلاً ان لم يتحرك المشرف في تنشيط عمل اضلاعه. المعلم يبقى معطلاً في منهج معطل، خذ التلميذ ايضاً في المدرسة الابتدائية فهو ليس تلميذاً خارج المدرسة، بسبب الضغط النفسي والمالي والاجتماعي، الذي جعل اهتمام العائلة غير مؤثر، وبذلك خسرنا تعامل المدرسة مع الاسرة وهي المكمل للعملية التربوية والتعليمية. فضلاً عن ضعف المنهج برغم اللمسات البسيطة التي أجريت عليه، وهو لايساعد على انشاء جيل من البناة للمستقبل، بكل صراحة هناك هفوات في المنهج والتدريس والاشراف.

-حسين محمد عجيل:
-هل اهتزت صورة المدرس في المجتمع؟

-ابراهيم الجوراني:- الصورة مائلة، لقد تحسن الوضع الاقتصادي للمدرس لكن وضعه النفسي لم يتغير بسبب افرازات المرحلة السابقة.

إعادة تأهيل

-حسين محمد عجيل:- الاستاذة زكية خليفة، أنت شهدت المعلم في عصره الذهبي وراقبت مؤشرات الانحدار إلى العصر الحديدي - بعبارة مهذبة- خلال العقدين الأخيرين من عمر النظام المتفسخ. كيف تنظرين إلى دور جديد للمعلم في عملية التحول الديمقراطي من موقعك ناشطة في منظمات المجتمع المدني؟ وما تقييمك لدوره الحالي؟

-زكية خليفة:- لدي تعقيب على وضعية الطلاب وعسكرة المجتمع. والان برامج تلفزيونية تعرض الطلبة على ترديد شعارات تمجد صدام، ولاأدري اين المشرفون من هذا وماهو دورهم، وفي الحقيقة نحن لانخشى من الاحتلال لانه سيرحل ذات يوم. نحن نخشى من بقايا الصداميين.

***حسين محمد عجيل:** السيدة زكية طرحت اكثر من قضية، قضية البعثيين مثلاً، كيف يتم التعامل مع المفصولين السياسيين؟ وماهي اتجاهات الرأي لديكم، استاذ فلاح؟

-فلاح رشيد جودي: شكراً للحديث عن هذا الموضوع، ان اعداد المعلم من اهم فقرات إصلاح التعليم، يجب ان يكون الاعداد سليماً. في الزمن المقبور تصور ان طالباً في الصف السادس الثانوي يدخل دورة سريعة ويصبح معلماً!! كيف يؤدي دوره وهو يحتاج الى معلم؟ في احدى الدول العربية، رأيت مدارس خاصة، المعلم فيها بدرجة ماجستير. بعد ٤/٩، قدمت طلبات كثيرة من المفصولين السياسيين. وزارة التربية لم تنظر بشكل تربوي الى هؤلاء الناس، أعدنا قسماً منهم برغم معارضة وزارة التربية بحجة عدم وجود تخصيصات مالية في بعض المحافظات اعيد الكثير منهم لكن المستشار المالي الامريكي رفض دفع الرواتب!، السؤال: لماذا يعاد البعثي المجتث بسرعة مع كامل حقوقه ولايعاد المفصول السياسي الا بشق الانفس، يطالبون المفصول بأدلة وبراهين تكاد تكون مستحيلة، من اين ياتي بقرارات اعدام اخيه او ابن عمه او والده اذا كان ضمن شهداء المقابر الجماعية؟ الادهى من ذلك اعيد اناس كان لهم يد طولى في الفساد الاداري في زمن صدام!!

جهود رائعة

***حسين محمد عجيل:** من واقع خبرتك مشرفاً تربوياً، أستاذ إبراهيم الجوراني كيف تقيّم الأداء المهني والعلمي للعائدين إلى وظائفهم من ضحايا الفصل السياسي مقارنة بزملائهم المستمرين بممارسة المهنة؟ وهل تعتقد أن فجوة كبيرة تفصل بينهما؟

-ابراهيم الجوراني: بعض منهم يعملون بما لا يعلمون، بسبب المدة التي ابتعدوا فيها عن اجواء التعليم ومناهجه وهم بحاجة الى تأهيل بدورات سريعة، لكن الحقيقة انهم يمتلكون حساً وطنياً عالياً ويبذلون جهوداً رائعة، من تجربتي اقول: الكثيرمن المدارس اعيدت الحياة اليها بجهود اثنين فقط من المفصولين السياسيين.

حسين محمد عجيل: ومن زاويتك النفسية دكتور فارس نظمي ألا ترى أنه ينبغي النظر إلى قضايا المفصولين السياسيين العائدين إلى التعليم على نحو يختلف عن أولئك العائدين مثلا إلى عملهم السابق في أمانة بغداد؟ أليس التعاطي مع النشء الجديد بعد سنوات قد تتجاوز العقد أو العقدين من التهميش والحرمان أو المطاردة والسجن والتعذيب بحاجة إلى إعادة تأهيل نفسي وعلمي قبل تقرير زجهم في العملية التربوية؟ كذلك الحال مع عودة المشمولين بقانون اجتثاث البعث مع الفارق الكبير طبعا بين الحالتين من كل النواحي. المهم هنا باعتقادي هو. ألا يكون حقل التعليم ميدانا لتجارب غير مفحوصة بعناية؟

-د.فارس نظمي: هناك اشكالية كبيرة وهي قضية مجتمع وتاريخ وثقافة. ينبغي الاستفادة من تجارب شعبي، المانيا، اليابان، لقد حدث لديهم تركيز كبير على الجانب التربوي، هذه الدول لم تنهض بالسلاح، اننا لا نمارس اية تجربة ولاحتى عراقية، ان واحدة من اهم عناصر النظام التعليمي، اعادة الكرامة والشخصية للمعلم، اعادة تأهيله بشكل خاص من الجوانب الادارية والمالية والاجتماعية، الكثير من الشخصيات العالمية اخذت دورها من خلال اشارات الاخرين، يجب اعادة المفصولين بكرامة وامتياز وينبغي تحديد اعمار المعلمين لاتاحة الفرصة للخريجين من الشباب.

***حسين محمد عجيل:**
وماذا بشأن عامل الخبرة؟

-د.فارس نظمي: في المقابل نحن في الكليات الانسانية نخرج سنوياً جيوشاً من العاطلين، وانا اشعر بالالم فالطالب يتخرج ولكنه غير مكترث لانه سيعمل عملاً خارج اختصاص دراسته. يجب تأهيل هؤلاء الشباب وادخالهم الى سلك التعليم وهم غير ملوثين بقدر كبير، وفي المقابل تعطى المعلمين من كبار السن حقوق كاملة ومشرفة والاستفادة من تجاربهم. ووضع خطة لازاحة القديم والمجيء بالشباب، وبخلاف ذلك سنفقد عشر سنوات اخرى على هذه الحالة، في الجامعة مثلاً بعض المهمشين سابقاً، مارسوا نشاطاً ملحوظاً لخدمة الطلاب، ولكن ما يمنع الجهود هي البيروقراطية الاكاديمية المعششة بشكل لايصدق، من الخطأ الاعتماد على من لهم مواقع بحكم التقادم وليس الكفاءة. بعض منهم اخذ شهادته الاكاديمية بطرق معروفة سابقاً.

خروقات مستمرة

***حسين محمد عجيل:** في قضية تحييد المدرسة عن تدخلات الاحزاب السياسية والحركات الدينية أسأل السيدة زكية خليفة عن أبرز ماسجلته من خلال خبرتك في هذا المجال، وما أشرته جراءها من تأثيرات سلبية في العملية التربوية.

-زكية خليفة: هذه مشكلة يعانيها الواقع التعليمي وتؤثر سلباً في مجمل العملية، اتخذنا قراراً ضمن شبكة النساء العراقيات (٨٣منظمة) لوقف هذه الخروقات لكن لا احد يسمح لنا بذلك.

-فلاح رشيد: نشاط المنظمات المدنية وعلاقتها بالمدارس مشكلة بالنسبة الينا، فنحن نعاني تعددها الهائل، ففي يوم واحد تقدم لنا العديد من الطلبات لمنظمات دينية وعسكرية وسياسية وكل يريد ان يحقق اهدافه وخلال الدوام الرسمي، من جهتنا نستطيع ان نهيئ اجتماعات للمنظمات المدنية خارج اطار الدوام الرسمي وفي اية مدرسة يختارون. بالنسبة للاعلاميين ينبغي ان يكون هناك تنسيق بين الاعلام ومديرية التربية، لكن المشكلة في الرأس الوزاري ولدينا كتب تمنع اي صحفي من اجراء اي تحقيق في المدارس الا باجراءات روتينية مملة، والسبب كما ارى جهل بعض ادارات المدارس في اعطاء المعلومات والاحصاءات التي تتعارض مع ماتقدمه الوزارة لوسائل الاعلام.

-ندى عمران: بالنسبة الى الخروقات تصور ان ورقة توزع في الثانويات وبعض الكليات تحتوي سؤالاً يقول: هل كانت مريم العذراء محجبة؟ ان هناك اتجاها في فرض الفكر والسلوك وهذا شيء مخيف يؤثر في مجمل العملية التربوية والتعليمية.

مهنة محايدة

***حسين محمد عجيل:**
استاذ ابراهيم، هل تعتقد ان من الضروري وضع تشريع يلزم جميع الاطراف الخارجة عن نطاق وزارة التربية بعدم استخدام ميدان التربية والتعليم ساحة للخوض في الصراعات السياسية والدينية والطائفية والقومية..الخ؟

-ابراهيم الجوراني: توصف مهنة التعليم بانها مهنة محايدة، كذلك الطبيب، فهو لايسأل مريضه من اي مذهب او قومية والمعلم كذلك يعلم كل شرائح المجتمع بعيداً عن الانتماءات الطائفية وأطالب بتعريق التعليم وعدم وضعه تحت سيطرة اي حزب او مذهب او تحت سيطرة ايديولوجية.

-ندى عمران: علينا الاهتمام بالملاك التربوي. هناك جهلة بكل معنى الكلمة وهم يقودون الان الجيل الجديد. الذي يحدث ان الطالب يقع اسير سياسة تجهيل.

-ابراهيم الجوراني:
هذا صحيح، فقد سألت طالباً في الكلية التربوية المفتوحة عن (محمد عبده) فقال لي، انه مغن سعودي!!

إعادة صوغ المناهج

***حسين محمد عجيل:** إذا انتقلنا إلى قضية المناهج وما يراد لها أن تضمه من مبادئ وقيم جديدة تستجيب لشروط التحول الديمقراطي. الأستاذ فلاح رشيد جودي، ماالاجراءات التي قامت بها وزارة التربية في هذا الخصوص؟ وما المعوقات التي تعترض سبيلكم؟ وإلام تستند من ناحية المرجعية الفكرية؟ وأين وصلت خطط الوزارة لمنح الأقليات حقوق التعليم باللغة الأم؟

-فلاح رشيد: الحقيقة في اول سنة تغيير عقدنا مؤتمراً تربوياً للملاكات من خارج العراق وداخله، وكانت هناك مخططات لاعادة النظر في المناهج على مستوى التربية والجامعة، ووضعت دراسات مهمة في هذا المؤتمر-الندوة لاعادة صوغ المناهج بعراقية كاملة من دون تحيزات، ووضع النظام بعض مفردات هذه المناهج وهذا امر يحتاج الى جهد كبير، مثلاً المرحلة الابتدائية مرحلة مهمة في بناء شخصية الطفل ويجب ان يعد الطفل في هذه المرحلة اعداداً جيدا، ولدينا حقيقة دراسات كثيرة لاستبدال المناهج، لكن الظروف مثل الطباعة في الخارج وغيرها تجعل ذلك صعباً علينا مثلاً اعداد الاساتذة لاعداد المناهج وهم الان قلة، ونعمل الان بالكوادر السابقة نفسها اما الكفاءات من خارج العراق فهم قلة وليس لهم دور فعال في هذا الشأن بسبب ظروفهم.

-ندى عمران: اعتقد ان الخلل يكمن في طرائق التدريس!

-فلاح رشيد: طرائق التدريس لاتختلف، المشكلة في المنهج ومفردات المنهج ومرجعية المنهج.

***حسين محمد عجيل:** وماذا بشأن المدارس الخاصة التي تعلم طلابها من الاقليات العراقية بلغاتهم الام؟

-فلاح رشيد: لدينا دائرة دراسات لغوية جديدة، وفيها ملاك وظيفي ولكنه غير مؤهل وهو قسم حديث وملاكه ليس بالمستوى المطلوب.

***حسين محمد عجيل:**
بعد سنتين من التغيير وليس هناك كادر بشري قادر على ان يقدم شيئاً ملموساً!؟

-فلاح رشيد: في المديرية حملة الشهادات العالية قلة جداً، وعليك ان تتصور ان رئيس عندنا قسم لايحمل حتى شهادة الاعدادية! فضلاً عن موظفين بلا كفاءة!!

***حسين محمد عجيل:** دكتور فارس نظمي ماذا يمثل التعليم باللغة الأم من وجهة نظر نفسية بالنسبة لأبناء الأقليات في مجتمع خارج من نظام حكم شمولي متعسف أهدر الحقوق الثقافية للجميع؟

-د. فارس نظمي: لكل انسان الحق في تعلم مفردات ثقافته بلغته القومية. ينبغي اتاحة الفرصة لكل قومية للتعليم بلغتها الخاصة، على وزارة التربية ان تضع اطاراً عاماً للآلية التي ستتبعها في هذا المجال، ويجب ان يتم ذلك بقانون يستند الى الدستور وتحويل هذا القانون الى اجراءات، وهذا حق طبيعي بما لايقلل من عراقية القومية وفي هذا المجال علينا الاستفادة من تجارب الشعوب.

***حسين محمد عجيل:** الاستاذة زكية خليفة، المناهج الجديدة بما تحتفي به من احترام للخصوصيات الثقافية، والتثقيف بقيم التسامح وحقوق الإنسان، بعيدا عن الأفكار الشمولية ذات الرؤية الضيقة في النظر إلى الماضي والمستقبل، تفترض وجود معلم متمكن لديه من المرونة الفكرية ما يسمح له بالتعاطي مع مفردات منهج قد لا يتفق تماما مع قيم (تربى) عليها طوال عقود؟

-زكية خليفة: خلال السنوات الماضية، كان ثمة حشد في المناهج وهو (وقف) على صدام وحزبه والمعلم مجبر على ان يقدمها للطالب، علينا ان لانضع ثقلاً على المعلم او المدرس. ينبغي ان نضع بين يديه منهجاً دسماً وصحيحاً يتوافق مع التحولات الديمقراطية الجديدة لكي يستطيع هذا التربوي ان يؤدي واجبه.

-فلاح رشيد: دعني اذكر لكم مثلاً اختتم به اعمال الطاولة: قدم احد المشرفين بحثاً للسيد الوزير السابق، عن المناهج وهو البحث نفسه الذي قدمه لوزير التربية في زمن صدام بكل مفرداته لكن الوزير السابق عاقبه والوزير الحالي قدمه ادارياً.

حسين محمد عجيل: أذاً ختامها لم يكن مسكاً! عموماً نرجو ان نكون وفقنا في تسليط حزمة ضوء على القضايا المثارة.
شكراً لكم جميعاً

زكية خليفة: منظمات المجتمع المدني لاتؤدي مهماتها بسبب كثرة المعوقات الرسمية

الدكتور فارس كمال نظمي: صدمة الحرب ومشاهد الارهاب اليومي سببت ضغطاً نفسياً مرضياً لدى التلاميذ

ابراهيم الجوراني: اذا ضمنا حيادية التعليم فلا خوف من التغيير

ندى عمران: مؤسسات التربية لاتتعاون مع الصحافة وتعرقل عملها